عصر النهضة عصر الأوربية

هو فترة في الحضارة الأوربية بدأت بعد العصور الوسطى مباشرة، ومن أهم ما يميّز هذا العصر اهتمامه الكبير بالأثر الكلاسيكي، وبروز العلماء، والمفكرين لإحياء التعلّم الكلاسيكي بعد فترة طويلة من الركود الثقافي، وقد شهد عصر النهضة العديد من الإنجازات، والاكتشافات، حيث تمّ اكتشاف، واستكشاف العديد من القارات الجديدة، واستبدال النظام الكوبرنيكي بالنظام البطلمي للفلك، كما ضعف النظام الإقطاعي في هذه الفترة، بالإضافة إلى إيجاد اختراعات جديدة، مثل الورق، والطباعة، والبوصلة البحرية، والبارود.

تعتبر فترة عصر النهضة، والتي امتدت بين 1300م و1700م، من أكثر الفترات نفوذاً في تاريخ أوروبا، حيث اعتبرها المؤرخون حركة ثقافية، وفكرية، وترتبط هذه الفترة في الغالب بإيطاليا التي بدأت فيها في القرن الرابع عشر، لتخضع بعدها دول أوروبية أخرى مثل إنجلترا، وألمانيا، وفرنسا لتغييرات ثقافية مماثلة، سعت خلالها المجتمعات إلى إعادة تعلّم الفلسفة، والقيم الكلاسيكية، وتطويرها، وتحسينها، بالإضافة إلى خلق أساليب فنية جديدة، وإطلاق أبحاث علمية، وفلسفية جديدة، كما أثرت في الدين، والموسيقى، والأدب، والفن، وغير ذلك. ويعد اعتماد العلماء على "الإنسانية" في دراساتهم آنذاك من سمات هذه الفترة.

خصائص عصر النهضة:

جرى في عصر النهضة إحياء التعلّم، والفن في أوروبا بعد العصور المظلمة، وفيما يلي الخصائص الرئيسية لهذه الفترة:

الفكر الكلاسيكي: أهم ما يميّز هذا العصر هو إحياء الفكر الكلاسيكي للإغريق، والرومان، ومن أهم العلماء الذين ساهموا في ذلك الباحث الإيطالي (بتراكي)، والذي جاء منهجه رافضاً للهمجيين، والفاستدين منذ زمن الإغريق، والرومان.

الإنسانية: اهتم العلماء بمفهوم الإنسانية في عصر النهضة، مما أدى إلى حدوث تغييرات كبيرة، وشاملة؛ وذلك لأن علماء القرون الوسطى اهتموا بتسخير العقل فقط في الأمور الدينية، أما بالنسبة لعلماء، وشعراء، وفلاسفة النهضة، فقد اهتموا بالعالم الواقعي، وبعلم الطبيعة، الأمر الذي أدى إلى وجود عدد أكبر من المتعلمين. ومن الجدير بالذكر أن فنّ عصر النهضة أصبح طبيعياً، وواقعياً أكثر.

الثورة التجارية: ظهرت الثورة التجارية مع انحدار النظام الإقطاعي، مما أدى إلى تطوير مناطق مختلفة من الدول الأوروبية للمراكز التجارية الحضارية المهمة، الأمر الذي أسفر عنه تحقيق اكتفاء ذاتي إقليمي

في المجالات التي تركز على أفضل إنتاج، مثل المواد الخام، والحبوب، والأطعمة، بالإضافة إلى تطوّر التجارة الصغيرة وتحويلها إلى تجارة رأسمالية، والتوسع فيها حتى بدء عمليات التداول في الخارج.

حركة الإصلاح: كان الروم الكاثوليك مهيمنين على المجتمع الأوروبي، ولكن الإنسانية أحدثت صراعاً بين المثقفين، ورجال الدين، حتى قام العالم الألماني (مارتن لوتر) بحركة احتجاج ضد التعاليم الكاثوليكية، وكشف فساد الكنيسة آنذاك، ودعا إلى حركة إصلاح، وأكد على وجود علاقة مباشرة بين الخالق، والأشخاص دون وساطة الكنيسة، كما طلب أن يكون الكتاب المقدس متاحاً بلغات أخرى تتعدى اللاتينية إلى اللغات المحليّة أيضاً، وعمل على ذلك؛ الأمر الذي أدى إلى ازدهار في الكتابة، والقراءة.

أهم مساهمات عصر النهضة:

ساهم عصر النهضة في التطوّر، والتوسّع في العديد من المجالات مثل الفن، والعلوم، والأدب، وغيرها، ومن أهم هذه المساهمات:

- اتّجه الفن في عصر النهضة إلى الواقعية، واحتوى على فن الرسم المنظوري، بحيث صوّر الرسّام ليوناردو دافنتشي علم التشريح البشري، كما ساهم في فهم شكله، واعتمد بعض الرسّامون مثل جان فان، وهيوغو على استخدام الطلاء الزيتي، والقماش.

- أظهر أسلوب عصر النهضة في الهندسة المعمارية بعض عناصر العمارة الرومانية، واليونانية القديمة. ركّز أدب عصر النهضة، على عكس الأدب السابق، على سلوكيّات الإنسان، وخصائصه.

- تطوّر العلوم، والهندسة خلال فترة عصر النهضة تطوّراً كبيراً، حيث تمّ اختراع التلسكوبات، والنظارات، والبارود، وبوصلة البحارة، والورق، والساعات، كما تمّ اكتشاف الآلات الموسيقية الجديدة مثل الكمان، والقيثارة، وغير ذلك.

- اشتملت تطوّرات عصر النهضة أيضاً على بروز البروتستانتية، ونمو اقتصاد السوق الرأسمالي بدلاً من النظام الإقطاعي.

أهم شخصيّات عصر النهضة:

هناك العديد من الشخصيّات الفنيّة التي ظهرت خلال عصر النهضة أهمّها:

- ليوناردو دافنتشي: ولد ليوناردو في الخامس عشر من أبريل 1452م، وتوفي في الثاني من مايو 1519م، والذي يعد من أشهر الفنانين في عصر النهضة، لما له من أعمال فنية عظيمة، مثل لوحة الموناليزا، والعشاء الأخير، وقد اتّسمت تقنيّاته بوجود طبقات من الطلاء، وبالاهتمام الدقيق بالضوء، والظل والشكل

الإنساني، والعين التفصيلية للتعبير، والإيماءات، وبالإضافة إلى كون دافنشي فناناً فقد كان مخترعاً، وعالمًا، ومهندساً معمارياً أيضاً.

مايكل أنجيلو: ولد مايكل في السادس من مارس عام 1475م، وتوفي في الثامن عشر من فبراير عام 1564م، فهو أحد معاصري دافنشي، وربما منافسه على لقب أعظم فنان في عصر النهضة، فقد كان مايكل فناناً، وشاعراً، ومهندساً بارعاً، ومن أشهر أعماله المنحوتة (ديفيد)، والذي يجسد بها شخصية داود التوراتية من الرخام الأبيض، كما تشمل أعماله تمثال (بيتا)، وسقف كنيسة سيستينة في الفاتيكان. **رافائيل:** ولد رافائيل في ربيع عام 1483م، وتوفي في السادس من أبريل عام 1520م، وقد قام رافائيل بإنتاج عدد كبير من الأعمال، من اللوحات الجدارية، والمطبوعات وغير ذلك، كما تعتبر مدرسة أثينا، والتي تعتبر مثلاً كلاسيكياً لفن عصر النهضة، وثقافته بشكل عام واحدة من أشهر أعماله.

انحدار عصر النهضة:

بدأت حركة عصر النهضة بالانحدار تدريجياً في القرن الخامس عشر، وذلك بسبب اكتشاف كولومبوس للأمريكتين، مما أثر على التجارة، كما تم إنشاء طرق تجارية جديدة في المحيط الأطلسي أثرت بدورها على تجارة البحر الأبيض المتوسط، وجلبت ربحاً كبيراً لإيطاليا، إلا أن إيطاليا أصبحت بحلول القرن السادس عشر مهددة من قبل الممالك المجاورة، مثل فرنسا، وإسبانيا، حيث أقال الجيش الإسباني روما في عهد الملك فيليب الثاني، وحكم إيطاليا في النهاية. أما في ألمانيا، فقد قاد مارتن لوتر حركة الإصلاح الذي طعن من خلالها في الكنيسة الكاثوليكية، مما نشأ عنه بروز الكائن البروتستانتية، الأمر الذي أدى إلى مواجهة الكنيسة الكاثوليكية لأزمة حقيقية، فدعت محاكم التفتيش لإلقاء القبض على كل فرد يعارض تعاليم الكنيسة الكاثوليكية بما في ذلك الفنانين والعلماء في إيطاليا.

حركة التنوير

اتفق المؤرخون واللغويون على تسمية الفترة الممتدة من القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر: بعصر التنوير. إنه مُحصلة لنهضة فكرية توسطت مرحلتين في التاريخ الأوروبي؛ العصور الوسطى، أو عصور الظلام، وعصر البناء الديمقراطي الغربي.

لقد قام المشروع التنويري على أفكار ما انفكت تنمو وتطور، وهي: الاستقلالية - الفردانية - والغائية الإنسانية، ثم الكونية.

في مفهوم التنوير:

ردا على سؤال القسيس جوهان فريديريك: ما التنوير؟ يجيب إيمانويل كانط: "التنوير تحرر الفرد من الوصاية التي جلبها لنفسه؛ الوصاية هي عدم قدرة الفرد على استخدام فهمه الخاص، دون توجيه من الآخر. ليس التصور العقلي سببا في جلب الوصاية، بل السبب انعدام الإقدام والشجاعة على استخدامه (أي العقل)، من دون توجيه من الآخر.

التنوير، وبهذا المعنى، استقلالية للفرد، دون الخضوع للسلطة الخارجية. يرتبط بالحرية الكاملة في النظر والمساءلة والنقد والتشكيك، بعيدا عن تقديس أي عقيدة أو مؤسسة. إجمالا، يقوم التنوير على قاعدة: "لا سلطان على العقل إلا العقل". لقد أجمع فلاسفة الأنوار على أن العقل الشاك - الناقد - أول سبل التحرر. العقل كأساس لتأسيس النظام الشرعي للأخلاق والمعرفة "إذن، فنزعة التنوير، كانت نزعة نقدية عقلية، تجلت فيها الفردانية، هدفها بناء قيم جديدة على أنقاض قيم بالية عتيقة. وقد تمثلت هذه النزعة من مختلف مناحي الحياة، فهي ظاهرة من الدين ومن الفن والأخلاق السياسية. وقد وضعت لكل ناحية من هذه النواحي تفاسير تتم عن تفكير حر مستقل، تفكير مملوء بالنقد والخلق والإبداع.

لقد كان العقل الموجه لفلسفة الأنوار، في حين أن التنوير يحمل دلالات أكثر شمولية، دلالات معرفية - ثقافية - واجتماعية سياسية، حيث إنه حسب عبد الإله بلقزيز، العقلانية والتنوير من سلالة مفهومية واحدة. لكن العقلانية تُشير إلى فاعلية منهجية وإستمولوجية، هي فاعلية الإدراك العقلي، بينما يحيل التنوير على وظيفة ثقافية أو اجتماعية .

عصر الأنوار: سياقات النشأة

يذهب كارل ماركس إلى أن التراكمات الكمية تؤدي إلى قفزة نوعية؛ تراكمات أغرقت الساحة الأوروبية ثقافيا واجتماعيا، وحتى سياسيا تحت الوصاية، والإرادة العليا باسم الإله. إن الوصاية التي تحدث عنها كانط في طرحه لمفهوم التنوير، لم يكن القصد منها إلا وصاية الكنيسة.

بذور الأفكار الفلسفية التي أفضت إلى عصر التنوير، بدأت خلال حرب الثلاثين سنة التي عرفتها أوروبا خلال الفترة الممتدة بين 1618 - 1648، صراع دموي طابعه مذهبي ديني، أفضى إلى اضطراب اجتماعي كبير. بذلك، لا يمكن تشكيل الصورة الكاملة عن عصر التنوير، دون استيعاب المناخ العقلي الذي شكل مرحلة ما قبل هذا العصر.

"كان الخروج من القفص والتفكير في الهواء الحر الطلق، أمرا مستحيلا. كان العقل مُدعنا مطيعا، وكانت الفلسفة خادمة لعلم اللاهوت الكنسي. شكلت العصور الوسطى انتكاسة في التفكير الأوروبي، حيث خضعت لحكم الدولة الثيوقراطية، مُنحت من خلالها لرجال الدين كل السلط الدينية والديوية.

تقريرُ المصير، طبيعة التفكير، صياغة السياسات. هكذا جسدت الدولة الثيوقراطية الإرادة العليا للكنيسة. أخذ الإيمان بالغيبيات يُحل مكان التفكير العلمي، وظلت الثقافة حكرا على رجال الدين وأتباعهم.

أنتج هذا صورة: "الإنسان المُتَشائم، الخائف من ارتكاب الخطايا والذنوب في كل لحظة. كانت هذه الصورة سائدة على مدار القرون الوسطى، ولكنها كانت أكثر قتامة أثناء العصور الوسطى الواطئة؛ أي التي استمرت منذ القرن الخامس وحتى القرن العاشر، بل وحتى القرنين الحادي عشر والثاني عشر".[5]

في ظل هذه البيئة المُغيبية عقليا، سيطرت نزعة ذهنية قوامها: الرمزية والخيالية في مُقابل النزعة الواقعية التي مثلت عصر التنوير.

بما أن الوعي التاريخي المحسوس كان ضامرا، شكل الوعي الأسطوري الدعامة الأساس في بنية التفكير. يختلفُ الدارسون حول إرهابات الفكر التنويري، بين من يعتبر كتاب: الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية لنيوون أول اللبنة التنويرية، وبين من يحدد الفترة التي سبقت الثورة الفرنسية 1789 بداية لذلك، وبين من يذهب إلى أن بروز المنهج الديكارتي الشكي مُنطلق الفلسفة التنويرية.

غير أن المتفق عليه، أن الأنوار أفرزت عالماً دون أوهام. عالم خاضع لقوانين العقل، وللأخلاقيات الكونية الإنسانية.

فلسفة الأنوار: ثورة فكرية أرست معالم الأنسنة

فلسفة الأنوار، لحظة مفصلية في التطور الإنساني، جعلته (الإنسان) مركز العالم. لقد عادت فلسفة الأنوار الطريق نحو إحداث تحولات راديكالية في بنية المجتمع الأوروبي، تحولات ستشكل المرجع الأساس في البناء الديمقراطي. عصر الأنوار المسؤول الحقيقي في القرن الثامن عشر عن إقامة فلسفة ذات نزعة إنسانية. إن فولتير ورسو ومنيسكو والفلاسفة الفرنسيين بالذات هم الذين فرضوا الفكر "التقدمي" ونادوا بـ"العقلانية"، وبرهنوا على أن الإنسان قادر بعقله على اختراع منظومة إنسانية لتدبير شؤون حياته.

استقلالية المعرفة:

"إن العقل أحسن الأشياء توزعا بين الناس". رينيه ديكارت. لقد أدرك فلاسفة عصر الأنوار، أن بناء الوعي الفردي يأتي من حيث الأولوية قبل بناء النظم الديمقراطية. عاش الإنسان الأوروبي لقرون ممتدة تحت نظام الوصاية في التفكير، وصاية رجال الدين، في شبه غياب - وإن كانت هناك استثناءات - لأي شكل من أشكال المعرفة الفردية. ولهذا، كان لا بد أن تكون استقلالية المعرفة أول ما سينفك من استقلاليات الإنسان.

"تنطلق استقلالية المعرفة من مبدأ مفاده أن ليس لأي سلطة مهما كانت راسخة أو ومحترمة أن تبقى في مأمن من النقد، وأن ليس للمعرفة سوى مصدرين: هما العقل والتجربة، وكلاهما في متناول كل إنسان. خرج رينيه ديكارت في القرن السابع عشر بمقولته: "أنا أفكر، إذن، أنا موجود" إيماناً منه بأن الخروج من القصور الفكري الذي عانته أوروبا، لا يكمن سوى في استقلالية الفرد معرفياً. والاستقلالية عنده الإغلاء من شأن العقل، والتجرد من المعرفة المسبقة.

شكل ديكارت مهد عصر التنوير في أوروبا، إذ مع حركة العقل تم تدشين حرية التفكير، وبناء مناخ الحرية الفكرية من دون خوف. لقد راهن فلاسفة الأنوار على أن المعرفة في ذاتها، عامل من عوامل التحرر. أفرزت استقلالية المعرفة مذاهب علمية مختلفة منهاجاً في التفسير. برزت العقلانية من جهة، والتجريبية مع جون لوك ودافيد هيوم من جهة أخرى. إلا أنه رغم هذا الاختلاف، تحرر الفرد الأوروبي من سلطان الأهواء، وانبعثت الروح النقدية التحررية، التي تحطت تشاؤمية العصور الوسطى،

مناهضة بذلك تداعيات التفكير الغيبي والأسطوري. على هذه الخلفية يرتسم انفتاح الأنوار على المعارف وانكبابها النَّهْم على العلوم واستبدالها البُعد اللاهوتي القديم والغايات الماورائية بالبحث عن الحقيقة العلمية المفيدة للإنسان في هذا العالم بالذات لا في عوالم الغيب.

انسانية الأنوار: الفردانية:

إن تمييز القيمة المعنوية للفرد، كونه ذات واعية، مركزية في الكون، لها رغباتها وأهدافها بعيدا عن اعتبارات الدولة أو الجماعات، شكلت المنطلق الأساس لعصر الأنوار. انتفاضة الأنوار أسست لمفهوم الإنسان الجديد، الشرعية لمفهوم الإنسان في إنسانيته. يقول جون لوك: "يولد الإنسان معنونا للحرية التامة، متمتعا بدون تحكم أو سيطرة بكافة الحقوق والامتيازات التي وفرها له الحق الطبيعي. هيمنة الكنيسة على القرارات الفردية والجماعية، أفرزت الفرد الأوروبي الخاضع للسلطوية، بذلك شكل فكر الأنوار ثورة على الدين في مظهره المؤسساتي (عقلية التقليد المتجمدة). إنه رفض لمبدأ الهيمنة على قرارات الفرد والجماعات. لقد جاء مشروع الأنوار، من أجل جعل الإنسان مركز الكون، مجردة إياه من تصورات أدت إلى انسلاجه من إنسانية. فكر الأنوار، إذن، يؤسس لأثروبولوجيا الإنسان الفردي، ركن الحداثة الاجتماعية والثقافية. مبنية على تفعيل ثلاث: العقل والحرية والمعرفة.

أثروبولوجيا التنوير، دحضت الفكر الراشح، موروث العصر الوسيط، وأرست معالم يقظة نقدية، أسست فردا قادرا على سن أخلاقيات مُستقلة عن الدين.

يقول جون لوك: "الجميع متساوون، مستقلون. ليس لأحد أن يسيء لأخيه في حياته، أو صحته أو حريته أون ممتلكاته.

لقد جاءت الفردانية مع الحداثة حتى أضحت مرادفا لها، حيث أصبح للإنسان معنى في ذاته، لا باعتباره خاضعا للكل. لا تعني الفردانية أبدا الحرية المطلقة، بقدر ما ترتبط بمدى أهمية وإمكانية التقدم الإنساني باستقلالية تامة عن السلطة أو الدين. ولا تعني الفردانية قانون الغاب، حيث إنه لم تنشأ بمعزل عن الأداء السياسي والأخلاقي. لقد أسس فلاسفة العقد الاجتماعي، ركائز المجتمع المدني الليبرالي، القائم على الإرادة الفردية كأساس للحق والتشريع والسلطة. التوفيق بين الفرد والدولة ضمن نظرية تعاقدية تقوم على عقلنة الحرية.

يرى فلاسفة العقد الاجتماعي أن المصلحة الفردية تقتضي الانتقال من الوضع الطبيعي إلى الوضع السياسي التعاقدى أو المدني. كونه شرطاً للتعايش بين الأفراد الأحرار والمتساوين في الحقوق. لذلك يذهب جون لوك إلى القول إن: "حرية الفرد في المجتمع، تعني عدم خضوعه لغير السلطة القانونية القائمة، دون اعتبار لأي سيادة أو إرادة مُستمدة من قانون آخر". إذ إن الأفراد - حسب جون لوك - لا يتعاقدون إلا حفاظاً على ممتلكاتهم وحياتهم وحياتهم، حيث تغدو السلطة دستوراً للملكية الفردية.

عصر الأنوار: مخاض العلمانية:

لم يكن اندلاع الثورة الفرنسية 1789 ضد الملكية، سوى تعبير عن هضم الإنسان الأوروبي لفلسفة الأنوار التي عادت الطريق نحو إرساء معالم البناء الديمقراطي الغربي. عصر الأنوار، رد فعل حول تحكم الكنيسة في الشؤون السياسية والاجتماعية، كما أن الملكية نفسها كانت تستمد شرعيتها من رجال الدين. بذلك كان رهان فلاسفة الأنوار الأول: فصل الدين عن الدولة. وحق الأفراد في ممارسة شعائرهم الدينية بعيداً عن رقابة السلطة. من هذه الزاوية، ستطفو العلمانية كأولى المفاهيم المؤسسة لعصر الأنوار.

"إن تاريخ أوروبا المعاصرة من النهضة إلى الأنوار، من إيرازم إلى روسو، هو تاريخ تفعيل للفصل بين المؤسسات العمومية والتقاليد الدينية، وهو أيضاً تاريخ توسيع لمجال الحرية الفردية (٠٠٠) وخذ لك شاهداً من بين الكثير من الشواهد، ما كتبه روسو إلى فولتير سنة 1756: "أنا ساخط مثلكم أن كل شخص لا يحظى في إيمانه بالحرية المثلّي، ومن جرأة بعض الناس على مراقبة ما في داخل الضمائر.

سحب الوصاية الدينية شكل المنطلق الأول لفلاسفة عصر الأنوار، وفي ذلك يقول باروخ سبينوزا: "السيادة الحاكمة ظالمة لرعاياها عندما تُحاول أن تُفرض على كل منهم ما يتعين عليه قبوله على أنه حق، وما يتعين عليه رفضه على أنه باطل، وأن تُفرض عليه المعتقدات التي تحثه على تقوى الله؛ ذلك لأن هذه الأمور تعد حقاً خالصاً بكل فرد، لا يمكن لأحد أن يسلبه إياه.

إن الحروب الدموية التي دخلت فيها أوروبا جراء المذهبية، إضافة إلى الهيمنة المطلقة لرجال الدين على شؤون الدين والدنيا، دفعت فلاسفة الأنوار إلى طرح العلمانية لينة أساس في بناء الدولة الديمقراطية. لا إقصاء للدين، إنما الارتقاء به إلى نطاق خاص بالفرد، وفصله عن الدولة التي شكّلتها بما يخدم مصالحها المطلقة.

الوضعية

الفلسفة الوضعية هي أي نظام فلسفي يستبعد التكهنات المسبقة أو الميتافيزيقية ويختصر بيانات التجربة، ويعتد الفيلسوف الفرنسي "أوغست كونت" مؤسس الفلسفة الوضعية وهو من أطلق مصطلح علم الاجتماع على العلم الحالي. وحركة فلسفية، استمدت الوضعية سماتها في عمل كونت وتطورت في عدة مراحل متنوعة مثل؛ التجريبية، الوضعية المنطقية، التجريبية المنطقية، إلى أن اندمجت في منتصف القرن العشرين بالمصطلح المعروف بالفلسفة التحليلية، وهي من عائلة الآراء الفلسفية التي تتميز بتفسير جيد للعلم وكل ما يعد منهجاً علمياً.

أصل الفلسفة الوضعية:

تعود بدايات الفلسفة الوضعية إلى أعمال الفيلسوف البريطاني فرانسيس بيكون وجون لوك وجورج بيركلي بالإضافة إلى ديفيد هيوم، في القرن التاسع عشر لحق بهم جيريمي بينثام وجون ستيوارت ميل كرواد للوضعية، وعندها كانت منبثقة من الثورة الصناعية خلال القرن الثامن عشر وما بعده، في ظل التفاؤل بأن التكنولوجيا والعلوم ستحقق التقدم الاجتماعي، وأن العلم كان مصدر وأساس المعرفة الحقيقية.

خصائص الفلسفة الوضعية:

تستخدم الوضعية نهجاً لدراسة المجتمع يمثل بتحديد الأدلة العلمية كإحصاءات والتجارب لتكشف حقيقة الطريقة التي يعمل بها المجتمع، وتعتمد على إمكانية مراقبة الحياة الاجتماعية وتكوين معرفة موثقة، وترتكز الوضعية على أن علم الاجتماع يهتم بما يمكن ملاحظته بالحواس وأن الحياة الاجتماعية وما فيها من نظريات يجب أن تُبنى بطرق منهجية صارمة ويمكن التحقق منها، وقد حاول رواد هذا الفكر جلب العلم إلى الفلسفة لتصبح الفلسفة علمية وحذف كل مكون ميتافيزيقي منها.

مبادئ الفلسفة الوضعية:

تشكل هذه الفلسفة من مبادئ رئيسية تؤكد أن منطق التحقيق متطابق في جميع العلوم، كما أن الهدف من التحقيق هو التنبؤ والاكتشاف وضرورة ملاحظة البحث بالتجربة مع حواس الانسان، كما تحكم على العلم بالمنطق وأن يظل خالياً من القيم، ومن المبادئ المهمة اعتقاد كونت أن المجتمع يمر بثلاث مراحل تبدأ من المرحلة اللاهوتية العسكرية، المرحلة الميتافيزيقية القضائية والمجتمع العلمي الصناعي، وفي مرحلة اللاهوتية العسكرية تمسك المجتمع بمعتقدات قوية حول الكائنات الخارقة والجيش، أما المرحلة الميتافيزيقية القضائية فركزت على الهياكل السياسية والقانونية التي تطورت مع المجتمع، وفي المرحلة العلمية وجدت

فلسفة علمية إيجابية مرددها للتقدم في التفكير المنطقي والبحث العلمي، إلى جانب امتلاك الوضعية عدة أطروحات نتلخص بأن العلم هو المعرفة الصالحة الوحيدة والحقائق هي الأمور الممكنة للمعرفة؛ باعتبار أن الفلسفة لا تمتلك أسلوباً مختلفاً عن العلم وتقوم بمهمة إيجاد المبادئ العامة المشتركة بين مختلف العلوم.

أنواع الفلسفة الوضعية:

تتركز الفلسفة الوضعية بنوعين أساسيين: الوضعية الاجتماعية، ذات الطابع السياسي العملي والتي سعت إلى تعزيز منظمة اجتماعية عادلة من خلال استخدام أساليب ونتائج العلم، وبذلك يستعيد المجتمع وحدته وتنظيمه بتأسيس قوة روحية جديدة وهي قوة العلماء وقوة زمنية جديدة هي قوة الصناعيين، والوضعية التطورية، ذات الطابع النظري المعلن وتشارك بشكل عام بالفكرة العامة للتقدم، وفي الوقت الذي تستنتج فيه الوضعية الاجتماعية التقدم من اعتبار المجتمع والتاريخ، فإن الوضعية التطورية تستنتجه من مجالات الفيزياء وعلم الأحياء، ويعد كونت وجون ستيوارت ميل هما الممثلان للوضعية الاجتماعية، بينما هربرت سبنسر ممثل الوضعية التطورية، وترتبط بالميتافيزيقيا المادية أو الروحية بالوضعية التطورية.

أما النوع الثالث الذي يجب تمييزه عن الاجتماعية والتطورية فهو المعروف بالتجريبية، وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر، ظهر للوضعية شكل أكثر أهمية من خلال إرنست ماخ وريتشارد أفيناريوس، عُرِفَت هذه الوضعية النقدية في ألمانيا والنمسا بالتجريبية، والذين اعتقدوا أن الحقائق كانت مجموعة مستقرة من الأحاسيس المرتبطة مع بعضها البعض، كما أن الأحاسيس تظهر في تكوين كل من الأجساد المادية والوعي والذات، وقالوا إن هذه العناصر محايدة وليس جسدية أو نفسية وبالتالي يختفي كل اختلاف جوهري بين الجسدي والنفسي، وبذلك وصلوا إلى أن العلم ليس سوى أداة يستخدمها البشر لمواجهة الكثرة اللانهائية من الأحاسيس والتصرف في سياق تلك الأحاسيس بطريقة يحافظون فيها على أنفسهم والوصول بالنهاية إلى تكيف مع البيئة المحيطة بهم.

نقد الوضعية:

في الوقت الحالي وبين معظم الفلاسفة، الوضعية ماتت، أو ميتة مثل الموقف الفلسفي والحركة، بينما لا تزال حية بين عدد من العلماء ومن ليسوا على دراية جيدة بما حدث في الفلسفة التقنية منذ الخمسينيات، ويأتي زوال الوضعية لعدة أسباب أهمها؛ عدم وجود تحديد لمبدأ التحقق الإيجابي وإمكانية صوده أمام التحقيق النقدي، أما السبب الثاني فهو الإدراك المتزايد لعدم وجود طريقة علمية محددة، وفكرة وجود واحدة في العلوم قد تعرضت لانتقادات كثيرة، وهذا لا يعني بزوال الوضعية أن أي مجال آخر للمعرفة البشرية أو أي شيء يسير في العلم لا يوجد فيه تمييز بين العلم الحقيقي والزائف، لكن لم يعد هناك أي

أساس فلسفي أو منطقي يمكن على أساسه بناء مثل هذا التمييز وأثبت عدد من العلماء أنه لا يمكن استبعاد الميتافيزيقيا حتى من العلم نفسه.

العقلانية

تعريفها:

العقلانية مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.

ويحاول المذهب إثبات وجود الأفكار في عقل الإنسان قبل أن يستمدّها من التجربة العملية الحياتية أي أن الإدراك العقلي المجرد سابق على الإدراك المادي المجسد.

تأسيسها وأبرز شخصياتها: العقلانية مذهب قديم جديد بنفس الوقت. برز في الفلسفة (*) اليونانية على يد سقراط وأرسطو، وبرز في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي فلاسفة أثروا كثيراً في الفكر البشري أمثال: ديكارت وليبنتز وسبينوزا وغيرهم.

رينيه ديكارت 1596 - 1650م: فيلسوف فرنسي اعتمد المنهج العقلي لإثبات الوجود عامة ووجود الله على وجه أخص وذلك من مقدمة واحدة عدت من الناحية العقلية غير قابلة للشك (*) وهي: "أنا أفكر فأنا إذن موجود".

ليبنتز: 1646 - 1716م فيلسوف ألماني، قال بأن كل موجود حي وليس بين الموجودات من تفاوت في الحياة إلا بالدرجة - درجة تميز الإدراك - والدرجات أربع: مطلق الحي أي ما يسمى جماداً، والنبات فالحيوان فالإنسان.

وفي المجتمع الإسلامي نجد المعتزلة تقترب من العقلانية جزئياً، إذ اعتمدوا على العقل وجعلوه أساس تفكيرهم ودفعهم هذا المنهج إلى تأويل النصوص من الكتاب والسنة التي تخالف رأيهم. ولعل أهم مقولة لهم قولهم بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ولو لم يرد بها شيء. ونقل المعتزلة الدين إلى مجموعة من القضايا العقلية والبراهين المنطقية وذلك لتأثرهم بالفلسفة اليونانية.

وقد فنّد علماء الإسلام آراء المعتزلة في عصرهم، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ثم جاء بعد ذلك ابن تيمية وردّ عليهم ردّاً قوياً في كتابه درء تعارض العقل والنقل وبيّن أن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفاً لصحيح النقل. وهناك من يحاول اليوم إحياء فكر المعتزلة إذ يعدونهم أهل الحرية الفكرية في الإسلام، ولا يخفى ما وراء هذه الدعوة من حرب على العقيدة الإسلامية الصحيحة، وإن لبست ثوب التجديد في الإسلام أحياناً.

عقائدها وأفكارها:

تعتمد العقلانية على عدد من المبادئ الأساسية هي:
العقل لا الوحي هو المرجع الوحيد في تفسير كل شيء في الوجود.
يمكن الوصول إلى المعرفة عن طريق الاستدلال العقلي وبدون لجوء إلى أية مقدمات تجريبية.
عدم الإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات.
العقائد الدينية ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي.

جذورها الفكرية والعقائدية:

كانت العقلانية اليونانية لوناً من عبادة العقل وتأليهه وإعطائه حجماً أكبر بكثير من حقيقته. كما كانت في الوقت نفسه لوناً من تحويل الوجد إلى قضايا تجريدية.
وفي القرون الوسطى سيطرت الكنيسة على الفلسفة الأوروبية، حيث سخّرت العقل لإخراج تحريفها للوحي الإلهي في فلسفة عقلية مسلّمة لا يقبل مناقشتها.
وفي ظل الإرهاب الفكري الذي مارسته الكنيسة انكمش نشاط العقل الأوروبي، وانحصر فيما تمليه الكنيسة والمجامع المقدسة، واستمرت على ذلك عشرة قرون.
وفي عصر النهضة، ونتيجة احتكاك أوروبا بالمسلمين - في الحروب الصليبية والاتصال بمراكز الثقافة في الأندلس وصقلية والشمال الإفريقي - أصبح العقل الأوربي في شوق شديد لاسترداد حريته في التفكير، ولكنه عاد إلى الجاهلية الإغريقية ونفر من الدين الكنسي، وسخّر العقل للبعد عن الله، وأصبح التفكير الحر معناه الإلحاد، وذلك أن التفكير الديني معناه عندهم الخضوع للفقيد الذي قيدت به الكنيسة العقل وحجرت عليه أن يفكر.

خاتمة:

إن العقلانية مذهب (*) فكري فلسفي يزعم أن الاستدلال العقلي هو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود، بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وأنه لا مجال للإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات، كما أن العقائد الدينية يمكن، بل ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي، وهنا تكمن علته التي تجعله مناوئاً ليس فقط للفكر الإسلامي، بل أيضاً لكل دين سماوي صحيح.

الداروينية (نظرية التطور)

نظرية التطور:

يُعرّف التطور (بالإنجليزية Evolution): بأنه التغيّر في الصفات الوراثية المُتوارثة بين الكائنات الحية مع الوقت، مما يؤدي إلى إنتاج أنواع متعددة، أو إحداث تغيّرات في النوع الواحد للكائنات الحية، وقد تمّت صياغة نظرية داروين للتطور عن طريق الانتقاء الطبيعي للمرة الأولى في كتابه حول "أصل الأنواع" الذي كتبه داروين في عام 1859م، وتنص هذه النظرية على أنّ الكائنات الحية تتغير مع مرور الزمن نتيجة لتغيرات في السمات الجسمية، أو السلوكيات الوراثية، مما يُتيح للكائن الحي التكيف مع بيئته بصورة أفضل ويساعده على البقاء والتكاثر.

يُعتقد أن نظرية التطور عن طريق الانتقاء الطبيعي تعتبر من أفضل النظريات التي تم دعمها تاريخياً، إذ يُزعم وجود مجموعة من الأدلة العلمية التي تدعم هذه النظرية، مثل: علم الحفريات، وعلم الوراثة، والجيولوجيا، وعلم الأحياء التطوري.

صاحب نظرية التطور:

يُعتبر العالم الإنجليزي تشارلز روبرت داروين صاحب أشهر نظرية للتطور والتي عُرفت باسمه، وهو عالم في التاريخ الطبيعي، وُلد سنة 12 فبراير من عام 1809م، وتوفي في 19 إبريل 1882م، وكان والده طبيباً معروفاً، وتعتبر نظريته في التطور عبر الانتقاء الطبيعي الأساس للدراسات الحديثة المتعلقة بهذا المجال، وقد نشر داروين كتابه (أصل الأنواع) والذي وضح فيه نظرية التطور الشهيرة الخاصة به في عام 1859م، بعد عقدين من صياغتها أثناء رحلته البحرية حول العالم في الفترة بين عامي 1837-1839م، ويُعتقد أن السبب الحقيقي وراء شهرته هو ابتكار هذه النظرية، والمعروفة أيضاً باسم الداروينية.

آلية التطور حسب رأي داروين:

تفترض نظرية التطور وجود تغيير في التركيب الجيني للبشر على الأجيال المتعاقبة، وينتج هذا التغيير عن زواج الأقارب، أو الانتقاء الطبيعي، أو التهجين، أو الطفرات، وللتطور آليات رئيسية هي:
-الانتقاء الطبيعي، التي تفترض نجاح الأفراد الذين يمتلكون صفات مميزة في البقاء، وتميرير هذه الصفات إلى الأجيال التالية .

-الطفرات الوراثية: في الجينات التي تؤدي إلى التأثير على تمرير الصفات الوراثية عبر الأجيال المختلفة.

- الانحراف الجيني: هي تغيرات عشوائية تحدث في الصفات التي تحملها المجموعة.

- الهجرة الجينية (بالإنجليزية Gene flow): وذلك عند تزواج الأفراد من مجموعات مختلفة مع بعضها البعض.

-يفترض العالم داروين كذلك امتلاك بعض الأفراد ضمن أي مجتمع في السابق للصفات التي تساعدهم على العيش والتكاثر، وهؤلاء الأفراد تركوا وراءهم عدداً أكبر من الأبناء مقارنة بنظرائهم، مما أدى بالتالي

إلى شيوع هذه الصفات في الجيل التالي بشكل أكبر مما سبق، ومع مرور الوقت وانتقال الصفات المرغوبة بهذه الطريقة من جيل لآخر أصبح المجتمع بأكمله أكثر تكيفاً مع المجتمع المحيط به، وأكثر قدرة على العيش والتكاثر فيه.

نظرية الانتخاب الطبيعي:

تعريف الانتخاب الطبيعي:

يمكن تعريف عملية أو الانتقاء أو الانتخاب الطبيعي: بأنها الآلية التي تتم من خلالها عملية التطور، ووفق عالمة الأثنروبولوجيا بريانا بوبينر فإن أفضل وصف لهذه العملية هو أن الصفات التي تبقى في الكائنات الحية هي الصفات التي تمكنها من العيش والتكاثر في بيئتها، وفي المقابل تقل لديها الصفات التي لا تحمل أية فوائد بقائية أو تكاثرية، أي يمكن التعبير عن ذلك بقانون البقاء للأصلح. يمكن لهذه الآلية وفق نظرية التطور تغيير صفات النوع الواحد من الكائنات الحية بشكل بسيط؛ كتغيير اللون، أو الحجم فقط للنوع ذاته عبر الأجيال المختلفة، وهو ما يُعرف باسم التطور الدقيق أو المصغر، وفي المقابل يمكن للتغيرات عبر مرور الكثير من الوقت وتراكم حدوث الكثير منها أن تنتج أنواعاً جديدة كلياً فيما يُعرف باسم التطور الكلي أو الكبير حيث يمكن للديناميكيات وبقائها أن تتحول إلى طيور، كما يمكن لأسلاف القردة أن تتحول إلى بشر، ويمكن كذلك للحيوانات البرمائية التحول إلى حيتان، وذلك عبر حدوث ما يُعرف باسم الطفرات التي قد تنتج عن حدوث الأخطاء بشكل عشوائي أثناء تضاعف جزيئات الحمض النووي منقوص الأكسجين أو أثناء ترميمه، أو بسبب التأثيرات الإشعاعية أو الكيميائية.

أمثلة على عملية الانتخاب الطبيعي:

يعتبر التطور الذي طرأ على الحيتان بسبب التغيرات البيولوجية العشوائية من الأمثلة على نظرية الانتخاب الطبيعي وفق ما تدعيه نظرية التطور حيث أصبحت هذه الحيوانات أكثر تكيفاً مع نمط الحياة البحرية مع مرور الوقت، وظهر العديد من الأجيال المختلفة، وأكثر قدرة على العيش والتنفس في الماء؛ فمع المزيد من التغيرات الجينية العشوائية تحركت فتحة التنفس لمسافة أبعد في الرأس، كما تغيرت أجزاء الجسم الأخرى للنسل القديم من الحيتان؛ فتحوّلت الساقان الأماميتان إلى زعانف، واختفت الساقان الخلفيتان، وأصبحت أجسادها أكثر انسيابية، وتطوّرت الذيل لديها لتصبح قادرة على دفع أنفسها بشكل أفضل في الماء. من الجدير بالذكر هنا أنّ داروين وصف شكلاً آخر من أشكال الانتخاب الطبيعي، والذي يعتمد على تمكّن الكائن الحي من تطوير صفات معينة في جسده لجذب الجنس الآخر من خلال عملية تُعرف باسم "الانتخاب الجنسي"، ومن الأمثلة عليها: تطوّر الريش الملون للطاووس، وقرون الغزلان الذكور.

الإنسان في نظرية التطور:

أصل الإنسان في نظرية التطور:

تفترض نظرية تطور الإنسان عبر التاريخ أن الإنسان مر عبر الزمن الطويل الذي تقدّره الأدلة العلمية بنحو ستة ملايين سنة بعملية طويلة ضمّت سلسلة كبيرة من التغيرات، وأن أصله هو من الأسلاف الشبيهين

بالقروء، ويستدلون على ذلك من منطلق أن الأدلة تؤيد أن جميع الصفات السلوكية والمادية المشتركة بين البشر هي تتبع في الأصل من أسلافهم الشبيهين بالقروء.

أهمية نظرية التطور في فهم جسم الإنسان:

كانت لنظرية التطور أهمية كبيرة في فهم طبيعة الإنسان؛ فقد مكنت الفلاسفة من فهم النفس البشرية عن طريق معرفة كيفية تطور الجهاز العصبي في جسم الإنسان، وعلاقته بالكائنات الأخرى، والعوامل التي جعلته يتطور في الوقت الحاضر، أما بالنسبة للطب الحديث فقد مكنته النظرية من دراسة كيفية علاج الإنسان بالاعتماد على أصله؛ فعمد على ترك العلاج بالأعشاب، والانتقال إلى العلاج بخلاصات الحيوانات، مثل الهرمونات.

الأدلة التي تدعم نظرية التطور:

هناك العديد من الأدلة التي قد تدعم نظرية التطور، ومنها:

- الأحافير؛ حيث يمكن من خلال الأحافير معرفة الشكل الذي كانت عليه الحياة في السابق؛ فهي تُظهر تطور الكائنات عبر الأزمنة المختلفة، وتعطي أدلة كافية قد تدعم صحة نظرية أن الكائنات الحية المعقدة في الوقت الحالي قد انحدرت من كائنات أخرى أكثر بساطة منها في السابق. تماثل التركيب بين الكائنات المختلفة وهو الأمر الذي قد يدل على انحدار كل مجموعة من الأنواع من سلف مشترك، ومن الأمثلة على ذلك تشابه أذرع الإنسان، مع الأطراف الأمامية للقطط والكلاب، وأجنحة الطيور، وزعانف الحيتان وامتلاكها لنفس النوع من العظام.

- تشابه أجنة النوع الواحد من الكائنات الحية، وهو الأمر الذي قد يعد دليلاً على تشاركها في السلف؛ فعلى سبيل المثال تمتلك جميع أجنة الفقاريات ذليلاً، وشقوقاً خيشومية، لتختفي هذه التراكيب مع مرور الوقت عند البعض منها، وفي المقابل فإنها تبقى عند البعض الآخر.

- الأعضاء الضامرة؛ فقد يدل وجود بعض الأعضاء مثل عظم الذيل أو العصعص، والزائدة الدودية عند الإنسان على صحة نظرية التطور حيث أدى التطور إلى تقليل حجمها بسبب انعدام الحاجة إليها في الوقت الحالي. تماثل تسلسل الحمض النووي الريبوزي بين بعض المجموعات من الكائنات الحية.

- توزيع الكائنات على سطح الأرض؛ حيث يمكن ملاحظة تشابه الكائنات الحية في مكانين ما على الأرض مع بعضها واختلافها عن الكائنات الحية الموجودة في مكان آخر منها على الرغم من تشابه المناخ في المنطقتين، وهو الأمر الذي قد يدل على أن هذه الكائنات المتشابهة قد هاجرت في الأصل من مكان إلى آخر وتطورت هناك لتكوّن أنواعاً جديدة أكثر تكيفاً على العيش في تلك المنطقة، وهو ما يفسر تشابه الكائنات بين تلك المنطقتين.

الأدلة التي تشكك في صحة نظرية التطور:

من الأدلة العلمية التي تشكك في صحة نظرية التطور ما يلي:

- تعتمد نظرية التطور على حدوث الطفرات بشكل عشوائي وغير موجّه لحدوث التطور، وبناء على ذلك تقول عالمة الأحياء لين مارغوليس العضو في الأكاديمية الأمريكية الوطنية للعلوم إنّ الطفرات لا تسبب تطور أنواع جديدة من الكائنات الحية، وإنما تؤدي بدلاً من ذلك إلى إنتاج أفراد مصابين بعيوب خلقية .

-الكيمياء الحيوية لا تدعم وجود نظرية التطور؛ حيث يقول عالم الأحياء بروس ألبيرتس وهو الرئيس السابق للأكاديمية الأمريكية الوطنية للعلوم إنّ الخلايا في جسم الإنسان تعمل كمصنع متكامل ومعقد، ولا يمكن للعمليات العشوائية وغير الموجهة أن تنتج هذا النظام المعقد من التنظيم الخلوي.

-الافتقار لوجود الأحافير التي تُظهر المرحلة الوسطى من تطور الكائنات الحية؛ حيث يقول عالم الأحياء المختص بالتطور إرنست ماير: إنّ معظم الأحافير تُظهر الأنواع الجديدة والمتطورة بشكل مفاجئ دون اتصال بأسلافهم عبر وجود أحافير تُظهر المرحلة الانتقالية بين النوعين .

العولمة

أولاً: تعريف العولمة:

كلمة العولمة جاءت ترجمة لأصل المعنى المعبر عنه باللغة الإنجليزية، (Globalization) وهذه الكلمة تعني في معجم ويبستر: إكساب الشيء طابع العالمية وذلك يجعل امتداد الشيء أو العمل به يأخذ الصفة العالمية.

وقيل: العولمة هي واحدة من ثلاث كلمات عربية جرى طرحها ترجمة للكلمة الإنجليزية السابق ذكرها والكلمتان الأخريان هما: الكوكبة والكونية.

وهي في اللغة العربية كما قال الدكتور /عبد الصبور شاهين عضو مجمع اللغة العربية: "العولمة تولدت من كلمة عالم وافترض لها فعلاً هو عولم يُعولم عولمة بطريقة التوليد القياسي. ومصدرها الصناعي العولمية. وخلاصة القول: إن العولمة ستجعل العالم يعيش في عصر القرية الكونية الموعودة.

وأول من أشار إلى مصطلح "العولمة" بمفهومه الجديد هو العالم الكندي مارسال ماك أستاذ الإعلاميات السوسيولوجية في جامعة تورنتو في كندا عندما صاغ في عقد الستينات مفهوم "القرية الإلكترونية" ثم ذاع وانتشر هذا المصطلح في مجال الاقتصاد والأسواق والاتصالات وفي بداية عقد التسعينات.

أما تعريفها اصطلاحاً: جرى العرف في الأدبيات الغربية على تعريف العولمة بأنها: "زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية، من خلال عمليات انتقال السلع، ورؤوس الأموال، وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات.

أما في الأدبيات الإسلامية فالعولمة هي: مرحلة من مراحل الصراع الحضاري يسعى فيها الغرب لسيطرة نموذج عالمياً بالاعتماد على التفوق المادي لتحقيق مكاسب أكبر في مختلف مجالات الحياة البشرية.

إذن نستطيع أن نقول: إن العناصر المهمة للعولمة في عالمنا المعاصر اليوم هي:

• تجاوز الأفكار والخبرات والنظم والسلع والمشكلات لبيئتها المحلية، وعبرها للحدود السياسية والجغرافية على مستوى العالم.

• نظام العولمة قائم على عدم الاكتراث بالخصوصيات المحلية والتراثية والبيئية للدولة والشعوب التي تغزوها؛ لأن العولمة تصنع بآلياتها الجبارة الميزات والخصائص والأجور التي تتسجم مع رواجها ومصالح القائمين عليها.

• تساؤل الاعتبارات المحلية من فكرية واقتصادية وسياسية واجتماعية في تشكيل حياة الناس وأذواقهم وأوضاعهم المختلفة، لصالح إسهامات وانعكاسات دولية عامة.

• تسارع وتيرة الاتصال العالمي، وتقدم وسائله؛ مما سهل انتقال كل ما يراد نقله.

ثانياً: نشأة العولمة:

إن المقدمات الأساسية لبداية نشأة العولمة بدأت بالنتائج التي خلفتها الحرب الكونية الثانية وهي محطة مهمة في تاريخ العولمة؛ إذ أنه بدأ واضحاً أن الهيمنة الحقيقية لا ينبغي أن تكون عسكرية، وإنما ثقافية واقتصادية. وهذا ما سيؤدي في النهاية إلى سيطرة شاملة. ومن هذا الأفق تم وضع الخطط لتجاوز النتائج المأساوية للحرب العالمية الثانية. وقد ضخت الولايات المتحدة من أجل إعادة بناء الدول الصناعية الغربية واليابان، وعبر مشروع (مارشال)، أكثر من اثني عشر مليار دولار بين عامي (1948-1951م). ولم يكن ذلك كرمًا ذاتياً من أمريكا، وإنما كان يستهدف -فيما يستهدف- جعل أوروبا واليابان جزءاً من سوق مفتوحة، والمساعدات على استيراد المصنوعات الأمريكية، وإيجاد فرص للاستثمار؛ بالإضافة إلى إعادة تنظيم العلاقات النقدية وأسعار الصرف ووسائل الدفع الدولية. وقد تمثل ذلك بظهور (البنك الدولي (و) صندوق النقد الدولي). (ومن هنا فإن بعض الباحثين يعد أواسط عقد الأربعينيات الحقبة التي وضع فيها حجر الأساس لعولمة أطلسية...)

ومن المؤكد أنه لم يكن معترفاً بالعولمة في الدوائر العلمية على أنها مفهوم له أهميته قبل عقد الثمانينات، مع أنها كانت تُستخدم على نحو متقطع. أما خلال النصف الثاني من ذلك العقد، فقد اختلف الأمر حيث أعلن (جوربا تشوف (عن قيام ثورة التغيير وإعادة البناء، وكان ذلك يعني في الحقيقة انهيار الاتحاد السوفيتي سياسياً واقتصادياً، كياناً ونفوذاً، كما أنه كان يعني اتجاه الخصم العنيد للغرب خطوات واسعة نحو المنهجية الغربية في السياسة والاقتصاد؛ وكان ذلك في كل المعايير انتصاراً لليبرالية والرأسمالية. وتلا ذلك سقوط (جدار برلين (عام 1989م)، وأخذت الدولة التي كانت تشكل (حلف وارسو (تنظم الواحدة تلو الأخرى إلى الحلف الأطلسي. وبعضها ما زال يطرق الباب ولما يُفتح له. وتبع ذلك انهيار أسوار عالية كانت تحتمي بها الأسواق في الصين وأوروبا الشرقية وروسيا، وصار انتقال الأفكار وأنماط العيش ورؤوس الأموال والخبرات التنظيمية والتقنية أكثر سهولة، وأوسع مدى من أي مرحلة سابقة. وهذه المرحلة الأخيرة ما زالت مستمرة، وفيها يتعمق، استخدام مصطلح العولمة ويكتسب معان ودلالات جديدة عند كل بزوغ شمس.

ثالثاً: أهداف العولمة:

للعولمة أهداف؛ ويتفق المؤيدون لها على أن من أهم أهدافها ما يلي:

- تقريب الاتجاهات العالمية نحو تحرير أسواق التجارة ورأس المال.
 - التوسع على مدى العالم في بنى الإنتاج وإنشاء فرص للنمو الاقتصادي على المستوى العالمي.
 - زيادة الإنتاج العالمي والمحلي.
 - زيادة حجم التجارة العالمية مما يؤدي إلى الانتعاش الاقتصادي العالمي.
 - حل المشكلات الإنسانية المشتركة التي لا يمكن حلها من منظور السيادة الوطنية المطلقة للدولة التي يقوم عليها النظام الدولي القائم حتى اليوم مثل: انتشار أسلحة الدمار الشامل، والتهديدات النووية، والبيئة، وتطور الأوبئة والأمراض المعدية، وانتقال الأيدي العاملة بكثافة من منطقة إلى منطقة أخرى، وانتشار الجريمة والمخدرات وغيرها..
 - إيجاد الاستقرار في العالم والسعي إلى توحيده.
 - فتح أبواب التنافس الحر ولا سيما في مجال التجارة.
 - نشر التقنية الحديثة وتسهيل الحصول على المعلومات العالمية الهامة من خلال الاستفادة من الثورة المعلوماتية الحديثة.
- هذه هي أهم الأهداف العامة لنظام العولمة في نظر المؤيدين لها.

أما المعارضون لها فيرون أن أهداف العولمة لها آثار سلبية خطيرة، من أهمها ما يلي:

- 1- الهيمنة على اقتصاديات العالم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية من خلال السعي لسيطرة الاحتكارات والشركات الأمريكية الكبرى على اقتصاد الدول.
- 2- التحكم في مركز القرار السياسي وصناعته في دول العالم لخدمة المصالح الأمريكية وما يسمى بالأمن القومي الأمريكي على حساب مصالح الشعوب وثرواتها الوطنية والقومية.
- 3- إلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب.

4- تدمير الهويات القومية والثقافة القومية للشعوب.

5- مضاعفة فرص المجموعات الأقوى التي كانت تسيطر في الأصل على عناصر القوة الاقتصادية والعلمية والتقنية والثقافية وغيرها.

6- زيادة الدول القوية ثراء بينما تزداد الدول الفقيرة فقراً، أي أن هناك دولاً قناصة ودولاً مقنوصة.

7- اختراق القومية والقيام بتفتيت بعض الدول والكيانات.

8- فرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية على الشعوب بقصد استغلالها ونهب ثرواتها. بمعنى أوضح: بروز نوع جديد من الاستعمار في القرن الحادي والعشرين أبشع لوناً، وأشد خطراً، وأبلغ ضرراً مما سبق من أنواع الاستعمار التي عرفها العالم.

9- القضاء على الهوية الثقافية والقومية وعلى تراث الأمة والشعوب الفكرية والحضارية.

خاتمة:

فالعولمة من أهم أهدافها وهو هدف أصيل لها: طمس هوية الشعوب وتشويه عقائدها وثقافتها وتاريخها؛ والنماذج على ذلك كثيرة وتكاد ألاّ تحصى؛ فمنها دراسة للدكتور جاك شاهين استاذ علوم الاتصال الجماهيري بجامعة ألبينوي الأمريكية، رصد فيها نيات الإعلام الأمريكي تجاه الإسلام والمسلمين من خلال تحليل مضمونه خلال عشرين سنة مضت. يرى الدكتور شاهين أن صورة العربي المسلم في الذهن الغربي يمكن تلخيصها بعبارة) الآخر الثقافي الخطير (الذي يهدد محاولات الانفراد الأمريكي بقيادة العالم بعد انهيار الشيوعية، ومن توابع هذه العبارة أن يكون مصطلح) الجهاد (و) عدم التسامح (و) واضطهاد المرأة (في الرؤية الغربية مرادفاً لكراهية الآخر وللتعصب، والعنف.

حتى في الكتب المدرسية الأولى ككتاب المواد الاجتماعية -المقرر على الصف السادس الابتدائي-يقدم المسلم على أنه راعي غنم يعيش في الخيام، ويرتدي العباءة، ويتزوج عدداً غير نهائي من النساء، ويُطلق كما يشاء، ولا همّ له إلا الجنس والعنف، ويخطف الطائرات، ويدمر المنشآت، وفي السينما يصور المسلم على أنه إرهابي.

رابعاً: مجالات العولمة:

تظهر العولمة في مجالات عديدة من مجالات الحياة التي تشكل شبكة من العلاقات الدولية المعاصرة، وأهم هذه المجالات:

أولاً: المجال الاقتصادي:

وتركز العولمة فيه على وحدة السوق، وإزالة العوائق أمام حركة رأس المال، وحرية الاقتصاد، واتخاذ الدولار معياراً للنقد وتحويل المجتمعات إلى دول منتجة هي مجتمعات الدول الصناعية ومجتمعات مستهلكة هي مجتمعات الدول الأخرى، ليصبح مظهر التأثير الاستهلاكي للعولمة هو لبس الجينز، وشرب الكوكا كولا وأكل الهمبرغر ومشاهدة المحطة الإخبارية (CNN) وكلها نتاج أمريكي؛ لدرجة أن الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران وقف يخطب في الجموع المحتشدة محذراً من تفشي ظاهرة لبس البنطلون الجينز بين الشباب الفرنسي؛ لأنه مظهر من مظاهر الغزو الأمريكي...

ثانياً: المجال الاجتماعي:

وذلك بتميط العالم على نحو من نمط المجتمعات الغربية) تغريب العالم (ولا سيما أمريكا) ولذلك قيل عولمة أو أمركة؛) وذلك بنقل قيم المجتمع الغربي والأمريكي خاصة ليكون المثال والقدوة، سواء ما نقل منها بإرادة مقصودة أم ما انتقل منها نتيجة طبيعية لرغبة تقليد الغالب؛ لأن الأمة المغلوبة مولعة بتقليد الغالب؛ كما قال ابن خلدون...

ثالثاً: المجال الفكري والثقافي:

وذلك بترويج الأيديولوجيات الفكرية الغربية، وفرضها في الواقع من خلال الضغوط السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية - أيضاً -؛ وذلك في مجالات عدة كحقوق الإنسان، والديمقراطية، وحقوق الأقليات، وحرية الرأي، وحتى يتحقق ما روج له دعاة العولمة من نهاية الأيديولوجيات والتي تعني القضاء على الدين والفكر والقيم والأخلاق..

رابعاً: المجال السياسي:

وذلك من خلال استخدام الأمم المتحدة بعد الهيمنة عليها وعلى مؤسساتها السياسية المؤثرة، خاصة مجلس الأمن الذي تعد قراراته ملزمة عالمياً، واستخدام حق النقض) الفيتو (عند الضرورة أو التلويح باستخدامه لمنع أي قرار لا يريده الغرب وخاصة أمريكا. ولعل ما يجري الآن من تعسف أمريكي بدعم بريطاني، ومجاملة من بقية الأعضاء الدائمين في استعمال هذه المنظمة العالمية لتكريس هيمنة أمريكا دليل على ذلك. وما كشفه) بطرس غالي (الأمين العام السابق للأمم المتحدة في كتابة (بيت من زجاج) والكتاب مطبوع متداول بعد خلافه مع أمريكا هو غيوض من فيوض.

خامساً: المجال العسكري:

وذلك من خلال الأحلاف والمعاهدات العسكرية التي تعقدها الدول الكبرى؛ وبخاصة أمريكا مع الدول الصغيرة، ومن خلال الأحلاف الإقليمية التي تكون هذه الدول طرفاً فيها، وكذلك من خلال حلف الأطلسي الذي حددت أهدافه تجاه الجنوب بعد أن كان تجاه الشرق بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفيتي، وانحلال حلف وارسو.